



**السلطة الشرعية
في التنظيمات الجهادية**
نظرة مقارنة

ياسين جمول - مختار أوفى



مقدمة

بعيداً عن أسباب نشوء تنظيم القاعدة؛ إلا أنه بات واقعاً نعيش تجارب لفروعه في عدة بلدان عربية وإسلامية، وأكثر ما تنشط هذه الفروع في مناطق الصراع لما تمثله لها من بيئة جهادية تحقق فيه بعض أهدافها التي ترفعها وتقاتل من أجلها.

وحيث إن القاعدة وما أنتجته على مستوى العالم من تنظيمات وأفراد تنطلق من رؤية شرعية وترفع راية إسلامية في قتالها فمن الطبيعي أن تبقى للشرعيين فيها سلطة قوية؛ تدور من حولها الأعمال القتالية والتنفيذية الأخرى.

ولئن انطلقت القاعدة من أفغانستان فإنها انتشرت في بلدان العالم مرتبطة مع قيادتها ببيعة جهادية؛ لكن هذه البيعة تشدد بلوازمها وترتخي، حسب اختلاف ظروف الزمان والمكان، دون أن تختفي آثارها الفكرية وإن خفت أو حتى أُلغيت الروابط التنظيمية مع قيادة التنظيم. وانطلاقاً من هذا فإن النظر الصحيح في التنظيمات الجهادية التي وُلدت من رحم القاعدة يلزم أن يكون نظراً موسعاً يرصدها في عدة أماكن وعبر سنوات من نشاطها بين السلم والحرب؛ لتصحّ المخرجات والاستنتاجات بخصوص تلك التنظيمات وسلطاتها الشرعية.

وتأتي هذه الورقة تحليلاً مقارناً للسلطة الشرعية في هيئة تحرير الشام «النصرة سابقاً»، والمرجعية الدينية في تنظيم حراس الدين، والسلطة الشرعية في جماعة

نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل غرباً بحيث يرصد جوانب التوافق والتباين بين التجارب الثلاث وفق العناصر الآتية:

* إشكاليات الولادة: بين الانشقاق والاندماج والتغلب.

* المرجعيات الشرعية: المحلية والعبارة للحدود.

* مع الحاضنة الشعبية: تقارب واستقطاب.

* مع الدولة الإسلامية: صراع الإخوة الأعداء.

* المجالس الشرعية: الحضور والتأثير.

من خلال استعراض ما يتصل بكل مسألة منها بين التشكيلات الثلاثة، واستخلاص أبرز الفوارق في المقارنة.

* إشكاليات الولادة: بين الانشقاق والاندماج والتغلب:

في شباط ١٩٩٨ «أعلن ابن لادن والظواهري تأسيس الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين؛ مما أدى إلى جمع الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية المصرية والجماعات المسلحة الباكستانية والبنغلادشية تحت مظلة واحدة للمرة الأولى. والواقع أن توحيد مجموعات مختلفة كان جزءاً لا يتجزأ من رؤية الظواهري، وقد انتقل معه مفهوم عولمة الجهاد إلى واجهة أيديولوجية القاعدة الآخذة في التطور»^(١).

والنظر في تجارب القاعدة وما نتج عنها من تشكيلات يدفعنا لاستحضار ما سبق؛ ففي التشكيلات محل المقارنة نجد الآتي:

(١) كتاب «القاعدة: التنظيم السري»، عبد الباري عطوان، دار الساقى، بيروت: ص ٩٤ .

وُلدت جماعة نصره الإسلام والمسلمين في شمال إفريقيا والساحل بعد اندماج عدة حركات مسلحة مشاركة في الصراع في مالي أعلنت عن ميلادها عبر شريط فيديو أنتجته مؤسستها الإعلامية الزّلاقة وأرسل في ٢ مارس ٢٠١٧ إلى وكالة نواكشوط للأنباء وُبث في الغد. وظهر عدة قادة جهاديين في الفيديو هم: إياد أغ غالي^(١) (أمير أنصار الدين)، وجمال عكاشة^(٢) (أمير منطقة الصحراء ضمن القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي)، ومحمدون كوفافا^(٣) (أمير كتبية ماسينا في أنصار الدين)، والحسن الأنصاري^(٤) (مساعد مختار بالمختار^(٥) أمير تنظيم المرابطون)، وأبو عبد الرحمن الصنهاجي^(٦) (قاضي القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي). إذ أعلن المشاركون اندماجهم في منظمة واحدة، ومبايعتهم لأيمن الظواهري (أمير تنظيم القاعدة) ولأبي مصعب عبد الودود عبد المالك دروكدال^(٧)

(١) Iyad Ag Ghaly - Wikipedia

(٢) Djamel Okacha — Wikipédia (wikipedia.org)

(٣) Amadou Koufa — Wikipédia (wikipedia.org)

(٤) Abou Hassan al - Ansari — Wikipédia (wikipedia.org)

(٥) مختار بلمختار المكنى (أبو العباس) - الذي تلقبه وسائل الإعلام الحكومية الجزائرية بالأعور بسبب عاهة لحقت بإحدى عينيه خلال قتال القوات السوفياتية في أفغانستان. قضى ١٦ سنة في الصحراء للقتال ولنسج علاقات ثقة مع السكان المحليين

(٦) <https://2u.pw/dHxrhbd>

(٧) عبد الملك دروكدال: ولد دروكدال في مدينة مفتاح بالقرب من الجزائر العاصمة عام ١٩٧٠م، تأثر دروكدال جدا بأبو مصعب الزرقاوي، وقد كان دروكدال العقل الذي دبر التحاق «جماعة الدعوة والقتال» السلفية بـ «القاعدة» والتي أصبح اسمها «القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي»، قتله الجيش الفرنسي خلال عملية نفذت في ٣ يونيو ٢٠٢٠ بمنطقة تساليت شمال مالي».

(أمير تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي) وهبة الله (أمير تنظيم طالبان). وتم اختيار إياد أغ غالي أميراً للتنظيم. واعتبر يحيى أبو همام (الاسم الحقيقي لجمال عكاشة) الرجل الثاني في هذا التشكيل الجديد، وهو أمير على منطقة تمبكتو. ومن الجدير بالذكر أن هذه الحركات المسلحة كانت مقربة من بعضها البعض قبل اندماجها.

وفي ١٦ مارس ٢٠١٧ نشر أبو مصعب عبد الودود عبد المالك دروكدال، أمير تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، رسالة صوتية^(١) وافق فيها على الاندماج. وفي ١٩ مارس أصدرت القاعدة بياناً تبنت فيه الجماعة الجديدة وقبلت ولاءها وبيعته^(٢).



شكل توضيحي لتأسيس جماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل وفي سورية أسس جبهة النصرة أبو محمد الجولاني، الذي كان يدرس في مدينة دمشق، ثم التحق بتنظيم دولة العراق الإسلامية في العراق، وهناك تعرّف

(١) من فيديو نشرته الأندلس ميديا، جهاز الدعاية لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، يهنئ نفسه على إنشاء جماعة نصرة الإسلام والمسلمين تهنئة ومباركة... اندماج مجاهدي الصحراء بتاريخ ١٤ / ٠٣ / ٢٠١٧.

(٢) بيان تأييد ومباركة لجماعة نصرة الإسلام والمسلمين بتاريخ ١٩ / ٠٣ / ٢٠١٧.

على أبي بكر البغداديّ أمير التنظيم، وفي الشهور الأولى للثورة السورية عرض الجولاني^(١) على أبي بكر البغدادي أمير تنظيم دولة العراق الإسلامية خطة مفصلة تهدف تأسيس جماعة جهادية في سورية، وطلب منه الدعم والتمويل، وقد وافق البغدادي على المقترح فأذن له بالخروج إلى دمشق^(٢)، ودخل الجولاني إلى سورية، وعقد عدّة اجتماعات في ريف دمشق وإدلب وحلب ودير الزور، والتقى عدّة شخصيات من تنظيم القاعدة، وقام بتشكيل جبهة النصرّة التي أعلن عنها في كانون الثاني/يناير ٢٠١٢ من عدة مجموعات وسرايا جهادية^(٣)؛ دون إعلان الولاء والتبعية لتنظيم القاعدة أو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق. ثم أعلن البغدادي في التاسع من أبريل/نيسان ٢٠١٣ أن تنظيم جبهة النصرّة امتداد لـ «دولة العراق الإسلامية»، وأنها وصلت إلى هذا المستوى من الإنجاز والتنظيم واستقطاب الجهاديين المعولمين إلى صفوفها بفضل الدعم الذي قدّمه تنظيم الدولة الإسلامية للجولاني، ولم يتوقف الخطاب عند هذه النقطة وإنما أعلن فيه عن إيقاف العمل بمسمّى «جبهة النصرّة» والاستعاضة عنه بمسمّى «الدولة الإسلامية في العراق

(١) سوري ينتمي لمناطق جنوب سوريا - الجولان - نازح مع أسرته، تنقل في سورية بين دير الزور ودمشق، وسافر إلى العراق عقب الاحتلال الأمريكي وانضم إلى تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين من خلال انضمامه لسرايا أنصار الإسلام، وهناك استطاع تأسيس علاقات واسعة مع الوجوه الجهادية، إلى أن تقرب من قائد تنظيم الدولة أبي بكر البغدادي عام ٢٠٠٩ وما بعدها.

(٢) أصدر الإعلام الرديف لتنظيم الدولة بتاريخ ٣/ ١ / ٢٠٢١، إصدارًا مطوّلاً بعنوان: النهاية والبدائية، يوضح فيه هذه التفاصيل، يمكن مشاهدة الإصدار عبر الرابط الآتي:

<https://t.me/shaiushshs/2>

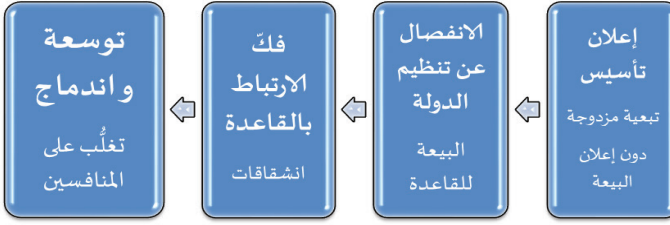
(٣) جبهة النصرّة لأهل الشام من التأسيس إلى الانقسام، حمزة المصطفى، مجلة سياسات عربية، العدد ٥٥، تشرين الثاني ٢٠١٣: ص ٦٩.

والشام»^(١)، وقد كان هذا الأمر دافعاً مباشراً لإعلان الجولاني ما سمّاه «تجديد» البيعة لأيمن الظواهري قائد تنظيم القاعدة رافضاً ما أعلنه البغدادي من الدمج^(٢)، وأيد الظواهري النصرة واستقلالها في بيان؛ فكان الرد من البغدادي برفض قرار الظواهري وإبقاء ما أعلنه من التنظيم في العراق والشام، وتصاعدت الخلافات مع النصرة حتى الاقتتال والسيطرة على ما في يد النصرة من مناطق وموارد. وبعد ضغط داخل جبهة النصرة متزامن مع ضغط شعبيّ عارم لفكّ الارتباط بالقاعدة خرج أبو محمد الجولاني وأبو الفرج المصري وعبد الرحيم عطون الشامي في بيان مصور في تموز/ يوليو من العام ٢٠١٦، وأعلنوا إلغاء العمل باسم جبهة النصرة، وتشكيل جسم جديد باسم: فتح الشام، وأنه لا يتبع لأيّ تنظيم في الخارج. وقامت فتح الشام بتفكيك وضرب بعض الكتائب الثوريّة، مثل جيش المجاهدين في حلب وصقور الشام في إدلب، ثمّ أعلنت عن تشكيل هيئة تحرير الشام في كانون الثاني/ يناير من العام ٢٠١٧، وضمّت مع جبهة النصرة لواء الحقّ في إدلب، وحركة نور الدين الزنكي في ريف حلب، وبعض الفصائل الأخرى.

(١) لم يتوفر لي المادة الصوتية التي تحدث فيها البغدادي، إلا أن تفاصيلها ذكرت في عدد واسع من مواقع الوكالات الإعلامية، ينظر على سبيل المثال: جبهة النصرة تباع الظواهري وتتصل من إعلان دولة العراق الإسلامية، موقع قناة الحرة، نُشر بتاريخ: ١٠ أبريل/ نيسان ٢٠١٣، عبر الرابط [الآتي: https://arbne.ws/3jnmkUP](https://arbne.ws/3jnmkUP)

(٢) ينظر: الكلمة الصوتية لأبي محمد الجولاني، عبر موقع جهاديولوجيا، بعنوان: حول ساحة الشام، <https://bit.ly/3wPrGfc> ، وينظر أيضا تفاصيل الكلمة عبر موقع وكالة رويترز للأبناء بعنوان: جبهة النصرة السورية تباع الظواهري، بتاريخ ١٠ / ٤ / ٢٠١٣، عبر الرابط الآتي:

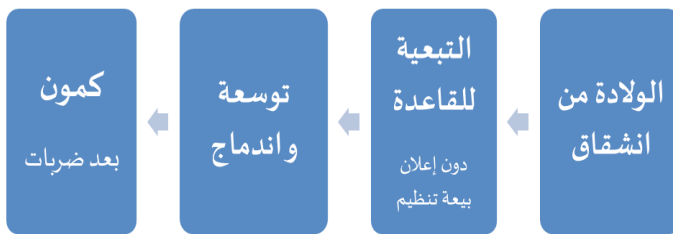
<https://reut.rs/3dan3EL>



شكل توضيحي لتأسيس جبهة النصرة وتطورها

وتنظيم حُرّاس الدين في سورية أُعلن رسمياً بتاريخ ٢٧/٢/٢٠١٨ عن البيان الأول الموقع باسمه «تنظيم حُرّاس الدّين» بقيادة أبي همام السوري (سمير حجازي). ويعدُّ تنظيم حراس الدين - بأغلب مكُوناته - من التنظيمات التي انشقت عن هيئة تحرير الشام، وإن كان أعلن عن تشكيل التنظيم في ٢٧ فبراير/ شباط ٢٠١٨؛ إلا أن إرهابات الانفصال عن هيئة تحرير الشام بدأت في المرحلة التي سبقت الانفصال عن القاعدة قبل ذلك بمدّة طويلة - أي قبل الانفكاك وتأسيس جبهة فتح الشام - وانتهت بحلّ «أبي محمد الجولاني» جبهة النصرة وإنشاء جبهة فتح الشام ونقض بيعته للقاعدة واعتقاله لعدد من شرعيّ القاعدة ورموزها في سورية إثر رفضهم فكّ الارتباط مع القاعدة وبدء موجة من الانشقاقات الداخلية في التنظيم الراضية لتحركات الجولاني والطبقة المحيطة به من القادة الأمنيين والعسكريين والشرعيين المرتبطين بعلاقات ومصالح محلية ودولية. أدركت القيادات الراضية لفكّ الارتباط مقدار التغيّر الطارئ في الساحة، واختلال موازين القوى داخل التيار الموالي للقاعدة لصالح التوجّه المهادن الساعي لتكريس نفسه في سلطة مقبولة دولياً ودائمة مستقبلاً، فابتدأ الشرعيون والأمنيون والعسكريون

منهم على الفور الإعداد للتشكيل المناهض. وقد سارعت بعض التشكيلات إضافة إلى المكونات المنفصلة عن «هيئة تحرير الشام» أو الراضية لفك ارتباطها بالقاعدة إلى إعلان انضمامها إلى التنظيم الجديد، وقد كان أبرز المجموعات التي بايعت «حراس الدين» هي: «جيش الملاحم»، و«جيش البادية»، و«جند الشريعة»، و«جيش الساحل»، وأنصار التوحيد التي تعدُّ من بقايا «جند الأقصى»، وعدد من السرايا الصغيرة الميَّالة لرؤى القاعدة الفكرية، مثل: «سرايا كابول»، و«سرايا الساحل»، و«سرية غرباء»^(١).



شكل توضيحي لتأسيس تنظيم حراس الدين وتطوره

فمن الواضح عند النظر في تأسيس التشكيلات الجهادية محل المقارنة:

- بروز قضية الاندماج بين الأفراد والجماعات في التجارب الجهادية محل المقارنة.

- حضور قضية الولاء والمبايعة بشدة في الإعلان ومحوريتها في تأكيد تبعية ومرجعية هذه التشكيلات لقيادة تنظيم القاعدة.

(١) ينظر: حراس الدين، وجه جديد للقاعدة، في موقع على بصيرة، عبر الرابط الآتي: <https://bit.ly/39Od9Er>،

وينظر حساب التنظيم على تويتر، عبر الرابط: <https://bit.ly/2xRjEc8>، وينظر: حراس الدين وتكيفات

القاعدة في سورية، حسن أبو هنية، موقع عربي ٢١، عبر الرابط: <https://bit.ly/2EOPqZv>

- تفاوت أثر القاعدة الأم في الفروع الأبناء بين الولاية التامة والولاية الناقصة؛ ففي حين سارت علاقة جماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل مع قيادة القاعدة بشكل منتظم، فكان إعلان بيعة وجاء جواب عليها بالقبول والمباركة. فقد تذبذبت جبهة النصرة في ولائها وبيعتها من التبعية لتنظيم دولة العراق وقيادة القاعدة، إلى الانفصال عن تنظيم الدولة وتأكيد الارتباط والبيعة للقاعدة، ثم إلى فك الارتباط بالقاعدة، ولم تكتفِ بالتغلب على الفصائل غير الجهادية بل بغت حتى على رفاقها في الجهاد والولاء للقاعدة؛ دون أن تستطيع قيادة القاعدة منع ذلك أو حتى حماية تنظيم حراس الدين الذي جمع صفوة الموالين لها الراضين فك ارتباط النصرة بالقاعدة. بما يؤكد الرابط الاعتباري للتشكيلات الجهادية بقيادة القاعدة أكثر من كونه رباطاً تنظيمياً مُلزمًا، في تكرارٍ لعجزها عن لجم انفراد تنظيم الدولة «داعش» بما أعلنه من دولة الخلافة والبيعة للبغدادي ومهاجمة الظواهري وقيادة القاعدة.

- استقرار التشكيلات الجهادية التابعة للقاعدة في دول الساحل وشمال إفريقيا أكثر، مقابل التنازع الذي حصل بين التشكيلات التابعة للقاعدة في العراق وسورية.

- حضور قضية البيعة للقاعدة في الخلافات والمنازعات بين التشكيلات الجهادية يؤكد أهمية المرجعيات الشرعية في هذه التشكيلات؛ لأن مدار البيعة كان على الشخصيات الشرعية القيادية المرتبطة سابقاً بالقاعدة عبر بيعة مباشرة أو ممارسة العمل الجهادي في أفغانستان.

- البراغمية العالية التي أظهرتها جبهة النصرة «هيئة تحرير الشام لاحقاً»

عبر عدة تحولات بما يتوافق مع الوضع الميداني وتغليب مصلحة التشكيل على مصلحة التنظيم العام.

- الميل إلى الشدة والتغلب ضد المخالفين؛ حتى وإن كان من رفاق الجهاد وأصحاب التجربة.

- استقرار الصلة بقيادة تنظيم القاعدة في تشكيلات الساحل الأفريقي أكثر من تشكيلات العراق والشام؛ ولعل ذلك بسبب اضطراب ساحات العمل الجهادي في العراق والشام وكثرة الفاعلين المحليين والخارجيين وأصحاب المصالح أكثر مما هو في الساحل الإفريقي.

* المرجعيات الشرعية: المحلية والعبارة للحدود:

يمكننا أن نعرف المرجعية الدينية أو الشرعية على أنها: الجهة، مُمثّلة في الغالب في فردٍ أو في مؤسسة، التي يرجع إليها كل مُهتمّ بالشأن الديني، طلباً للتوجيه أو استفتاء لما يعرض له من مسائل وقضايا يحتاج فيها إلى معرفة الرأي الشرعي بخصوصها؛ والأصل أن هذه المرجعية تنبع من اختيار الفرد الذي يريد الاستناد إليها، وليست للمرجعية الدينية الإسلامية سلطة قانونية على من يعود إليها؛ وإنما هي سلطة معنوية روحية^(١).

وتلعب المرجعيات الشرعية دوراً كبيراً في رسم الخطاب والتعبئة والفتوى

(١) د. أحمد جاب الله، المرجعية الدينية الإسلامية: المحددات، عوامل التشكل والإشكاليات، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، على الرابط:

والقيادة السياسية، بل والعسكرية في بعض الأحيان للجماعات الجهادية؛ حيث إن الأساس الذي تقوم عليه هو «السعي لتطبيق وتحكيم الشريعة» كما نجد فيها تطبيقاً واضحاً لنموذج «القائد الشيخ»، إضافة لحرصها على ترسيخ مفهوم «طاعة الأمير» الذي يجعل للمرجعية الشرعية أو «الأمراء الشرعيين» كلمة وازنة في تلك التنظيمات.

وانطلاقاً من كون التشكيلات الجهادية مرتبطة برباط ما - يقوى أو يضعف - بقيادة تنظيم القاعدة وتجاوزها البُعد القطري في عناصرها وفكرها، ومن خصوصية ما يتبناه التنظيم وفروعه من الآراء والاجتهادات؛ فهي لا تخرج عن مرجعيات واحدة أو متقاربة تجعلها على الخط «الجهادي» ذاته من محليين وعابرين للحدود كذلك.

فجماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل نستحضر أنها تتألف من فئتين واسعتين من الفصائل، مما يمكن أن نسميه بشبكة الجهاد الإقليمية وشبكة الجهاد المحلية، وفيه شخصيات رمزية من قاداته كالمختار بالمختار وأبي الوليد عدنان الصحراوي^(١). ولفهم الخلفية الدينية والعقدية والفكرية لهذه الجماعة وغيرها من الجماعات السلفية المقاتلة ومعرفة الإشكاليات التي تطرحها، وتبرر بها حمل السلاح والقتال؛ يمكن الرجوع إلى مؤلفات أبي محمد المقدسي وأبي مصعب السوري وأبي قتادة الفلسطيني وأبي يحيى الليبي، كما أن هناك مراجع أساسية مثل كتاب «العمدة في إعداد العدة» لسيد إمام، و«كتاب الفريضة الغائبة» لمحمد عبد السالم فرج، وكتاب «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» لأبي مصعب السوري، وكتاب «إدارة التوحش» لأبي بكر ناجي.

(١) Adnane Abou Walid al - Sahraoui — Wikipédia (wikipedia.org)

ومن الصحراء والساحل توجد مؤلفات تبرر القتال وتحرض عليه، مثل «رسالة نصح وبيان لحركة النهضة في تونس القيروان» لأحمد أبي عبد الإله الجيجلي الجزائري، ورسالة أبي يحيى الشنقيطي «يا أهل تونس القيروان: كونوا أنصار شريعة الرحمن»، و«رسالة الحرب على مالي» لأبي عبدة العنابي.

ومن مرجعيات الجماعة أبو المنذر الشنقيطي، الذي كتب رسائل وكتباً من أهمها: «نحن أنصار الشريعة»، وكتاب «تفجير الثورة»، وكتاب «إعلام الأمة بانقراض أهل الذمة»، وكتاب «الوسطية في القرآن»، وكتاب «معركة الشريعة في مالي»، وكتاب «الانتصار للسجناء الأبرار في فتنة الحوار» في إشارة إلى الحوار بين السلطات الموريتانية والسجناء السلفيين، وكذلك أبو طلحة الشنقيطي صاحب كتاب: «التيان في وجوب قتال جيش موريتان». وتشكل الجناح الشرعي في الجماعة من القيادات الدينية التي كانت موجودة في الصحراء، من أمثال: أبو عبد الرحمن الصنهاجي، وعبد الملك ولد سيدي المكنى «قتيبة» مفتي التنظيم، بل هو المفتي الخاص لقائد التنظيم «غالي».

ومن أبرز المرجعيات المحلية لجماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل: أحمد أبو عبد الإله الجيجلي الجزائري، وأبو يحيى الشنقيطي، وأبو عبدة العنابي، وأبو المنذر الشنقيطي، وأبو طلحة الشنقيطي، وعبد الملك ولد سيدي المكنى «قتيبة»، وأبو عبد الرحمن الصنهاجي. أما في مرجعياتها العابرة فأبرزهم: أبو محمد المقدسي، وأبو مصعب السوري، وأبو قتادة الفلسطيني، وسيد إمام (العمدة في إعداد العدة).

وجبهة النصرة في سورية «هيئة تحرير الشام لاحقاً» كانت الطبقة القيادية

الأولى فيها حاملة فكر تنظيم القاعدة، ومتأثرة بمرجعياته المعروفة منذ تشكلها، كما أن إفراج نظام الأسد عن العديد من مؤيدي تنظيم القاعدة ومناصري فكر الغلو والعنف من سجونه، وانضمامهم لجبهة النصر، وتوليهم أبرز المناصب القيادية والشرعية؛ جعل الصبغة العامة للتنظيم هي فكر الغلو والتشدد والعنف المفرط^(١)، كما أن الباحثين^(٢) عبر مقابلات مع شرعيين سابقين في جبهة النصر حصلوا على معلومات حول أبرز المرجعيات العابرة التي أثرت في جبهة النصر بتحولاتها المختلفة، ومن أبرز أولئك: سيد إمام الشريف وكتابه (العمدة في إعداد العدة) و(الجامع في العلم الشريف)، ويُعدّان مرجعاً جهادياً في مخيمات تدريب قاعدة الجهاد في أفغانستان، وجرى تدريسهما في معسكرات جبهة النصر. والدكتور أيمن الظواهري الذي يعدّ نفسه القائد غير المباشر لجبهة النصر، عبر توجيهه الرسائل المتكررة لها، حتى بعد إعلانها فك الارتباط بتنظيم القاعدة. وأبو قتادة الفلسطيني الذي يُعد من أهم منظري الغلو السياسي في العالم، وله عدة رسائل ومرثيات وله نشاط على مواقع التواصل الاجتماعي، وقد كان له تأثير كبير على جبهة النصر بتقلباتها المختلفة، كما أشارت مصادر خاصة للباحثين أن المجلس الشرعي للنصرة كان على تواصل دائم به، وبدوره تطرّق أبو قتادة للشأن السوري في كثير من منشوراته ورسائله.

(١) للمزيد حول ذلك ينظر: صالح الحموي، الحركات المتشددة والسلفية في سورية بعد ٢٠١١ وتحولات هيئة تحرير الشام، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، ترجمة من التركية، جاسم فارس، على الرابط: <https://bit.ly/3o656zZ> المصدر الأصلي

(2) Saleh Al - Hamawi, "Suriye'de 2011 Sonrasında Militan - Selefi Hareketler ve HTŞ'nin Dönüşümü", ORSAM, 4/6/2021, <https://bit.ly/3wgNCyN>.

وأبو محمد المقدسي بكتابه: (ملة إبراهيم) و(الكواشف الجليلة في تكفير الدولة السعودية)، وقد كان له تأثير كبير على جبهة النصره بتقلباتها المختلفة، وقد تطرق المقدسي على غرار الفلسطيني للشأن السوري في كثير من منشوراته ورسائله. وأبو عبد الله المهاجر وكتابه (فقه الدماء).

ومع إعلان جبهة النصره فك ارتباطها بتنظيم القاعدة في العام ٢٠١٦ تعزز دور المرجعيات الشرعية المحلية، التي أخذت في بعض الأحيان بفتح سجلات مع منطري وقيادات تنظيم القاعدة وكتابة الرسائل والردود عليها، ونقد منهجها في بعض الأحيان، وبرزت أسماء عديدة مثل: عبد الرحيم عطون رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، ومظهر الويس القاضي في التنظيم وعضو مجلس الإفتاء، وعبد الرزاق المهدي الذي استقال من هيئة تحرير الشام. كما برز دور لبعض المرجعيات الأجنبية التي دخلت سوريا مثل: أبو اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري أيضاً، وعبد الله المحيبي سعودي الجنسية، وغيرهم، وقد أعلن بعضهم استقالته من تحرير الشام لأسباب مختلفة، في حين بقي آخرون ضمن صفوف التنظيم. وفي هذه المرحلة أسست هيئة تحرير الشام «جبهة النصره سابقاً» أهم مؤسستين شرعيتين مرجعيتين لها بقيادات محلية، هما: المجلس الشرعي لتحرير الشام «اللجنة الشرعية» برئاسة عبد الرحيم عطون وعضوية الويس وحمدان والجبوري والمصري. وكان لهذا المجلس دور كبير في رسم سياسات التنظيم الداخلية والخارجية. وجاء الإعلان عن تأسيس المجلس الأعلى للإفتاء في مؤتمر عام عقدته الهيئة في نيسان ٢٠١٩ تعبيراً عن «ضرورة تشكيل مرجعية شرعية للمناطق المحررة»، وضمّ شرعيين سوريين، منهم: أنس عيروط وبسام صهيوني وإبراهيم شاشو مع عطون والويس وحمدان.

ومن أبرز المرجعيات الشرعية في جبهة النصرة «هيئة تحرير الشام» نذكر عبد الرحيم عطون، ومظهر الويس، وعبد الرزاق مهدي، ومصطفى حمدان «أبو الحارث الزبداني»، وأنس عيروط، وبسام صهيوني. أما في مرجعياتها العابرة فالأبرز: سيد إمام الشريف (العمدة في إعداد العدة والجامع)، وأيمن الظواهري، وأبو قتادة الفلسطيني، وأبو محمد المقدسي، وأبو عبد الله المهاجر المصري (فقه الدماء)، وأبو اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري، وعبد الله المحيبي السعودي، وميسر الجبوري «أبو ماري القحطاني» العراقي.

وفي تنظيم حراس الدين نستحضر ولادته عبر منشقين عن النصرة بعد فك الارتباط بالقاعدة والخروج عن خطها الجهادي كما رأوا، وأن التنظيم جمع في صفوفه بين تشكيلات محلية وعالمية منفصلة عن هيئة تحرير الشام يجمعها ارتباطها بالقاعدة أو ميلها لرؤى القاعدة الفكرية.

والمسؤول الشرعي العام في حراس الدين هو الدكتور سامي العريدي الأردني، الذي انضم إلى صفوف جبهة النصرة من بداياتها، وعُرف بكنية «أبو محمود الشامي»، وقد تولى منصب الشرعي العام في الجبهة عام ٢٠١٥، وخولته قيادتها بالحديث عن عقيدة ومنهج جبهة النصرة، وانشق عن تنظيمه بعد الإعلان عن جبهة فتح الشام وبقي محتفظاً بولائه لتنظيم القاعدة إلى أن أسس مع رفاقه تنظيم حراس الدين حيث يشغل فيه - إلى الآن - منصب الشرعي العام^(١).

(١) نقلاً عن عدة مصادر ميدانية. يمكن الاستئناس بالمراجع الآتية: سامي العريدي.. من مفتي جبهة النصرة إلى المرجع الشرعي لتنظيم «حراس الدين» على موقع ٢٤ الأخباري، على الرابط: <https://24.ae/article/428085> ، وينظر: ماذا تعرف عن قيادات وشرعي جبهة النصرة الذي ألقى القبض عليهم، شبكة شام، عبر الرابط: <https://bit.ly/34IT0ZZ> .

وخالد العاروري «أبو القسام الأردني» من المقرّبين للزرقاوي مع صلة مصاهرة بينهما، وأمضى مدة مع المقدسي في السجن وتأثر به، وله صلات بكبار قادة القاعدة، وانشق عن النصرة وبقي على ولائه للقاعدة، وهو واحد من ١٢ عضواً في مجلس الشورى العام لتنظيم القاعدة، واشتد خلافه مع القحطاني القيادي في النصرة واغتاله التحالف الدولي في حزيران ٢٠٢٠.

وبلال الصنعاني الذي كان مع القاعدة في العراق، واستمر مع الجولاني حتى إعلانه فك الارتباط بالقاعدة فانشق وشارك بتأسيس حراس الدين مع جيش البادية الذي كان يقوده، كان معروفاً بلقب «الشيخ بلال» لتلقّيه العلم الشرعي عن مشايخ من القاعدة في العراق وسورية، كما أنه كان عضواً في مجلس شورى التنظيم إلى جانب أبي القسام الأردني، وقد حاولت عدة أطراف «محلية» و«خارجية» اغتياله عدة مرات، ونجح التحالف في ذلك بتاريخ ١٤ حزيران/يونيو ٢٠٢٠، حيث اغتيل مع أبي القسام الأردني.

وإياد الطوباسي «أبو جلييب الأردني» وهو شرعي إلى جانب كونه من المسؤولين عن الجهاز الأمني للتنظيم، كان مع قادة النصرة وبعد الإعلان عن تأسيس جبهة فتح الشام رفض أبو جلييب الخطوة وأعلن عن ولائه لتنظيم القاعدة، وكان ممن اعتقلته هيئة تحرير الشام في ٢٠١٧ مع شخصيات أخرى كانت تسعى لتأسيس فرع جديد للقاعدة في سورية^(١)، وقد اغتيل بتاريخ ٢٩ / ١٢ / ٢٠١٨^(٢).

(١) ينظر: من هو «الجهادي» إياد الطوباسي الذي قتل بظروف غامضة في درعا؟، بي بي سي عربي: على الرابط: <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-46786800>، ومن قتل «أبو جلييب

الأردني» لدى انتقاله من إدلب الى حوران؟ جريدة المدن، عبر الرابط: <https://bit.ly/3hCWppn>

(٢) للمزيد من المعلومات عن الطوباسي واغتياله، ينظر: مقتل إياد الطوباسي أبرز قياديي «القاعدة»

وأبو خديجة الأردني؛ وكان مقرباً من المقدسي وأمضى معه عدة سنوات في السجن تلقى خلالها دروساً شرعية في العقيدة والأصول منه بشكل مباشر، ومع انقضاء ١٠ سنوات خرج منه وانضم إلى جبهة النصرة في سورية، حيث عمل مسؤولاً شرعياً في قاطع الغوطة الشرقية ثم قاضياً أمنياً، إلا أنه عزل بعد ذلك من منصبه بتوصية من لجنة المتابعة في جبهة النصرة^(١). كان - طوال المدة التي أمضاها في سورية - من المقربين إلى أبي جلييب الأردني، وقد أعلن بعد تشكيل جبهة فتح الشام رفضه للخطوة وتمسكه ببيعة القاعدة، عمل مع القادة الآخرين على تأسيس تنظيم حراس الدين وكان رئيس مجلس الشورى فيه، وقد قُتل في قصف لطائرة من دون طيار استهدفت سيارته في محافظة إدلب في ٢١/١٢/٢٠١٩^(٢).

وأبو عبد الرحمن المكي الذي خلف أبا خديجة في مجلس الشورى إلا أنه معتقل لدى هيئة تحرير الشام.

وأبو أسامة الشوكاني المسؤول الدعوي العام في حراس الدين، وهو في منصبه منذ تأسيس التنظيم؛ إلا أنه لا أخبار أو معلومات عنه منذ حزيران ٢٠٢٠، وهو مسؤول عن إجراء الفعاليات الدعوية مع الناس - خيم دعوية، ومسابقات، وجولات، إلخ - ومسؤول عن جهاز الحسبة في التنظيم.

في سورية، عنب بلدي، <https://bit.ly/3AEsTIt>

(١) نقلاً عن أبي الفتح الأنصاري.

(٢) ينظر: التحالف الدولي يقتل قيادياً لـ «حراس الدين» شمال إدلب، تلفزيون سوريا، عبر الرابط:

<https://bit.ly/2UsCG3>، وينظر: مقتل أبو خديجة الأردني زعيم «حراس الدين»، الشرق

الأوسط، عبر الرابط الآتي: <https://bit.ly/3jO4Pgk>

وأبو ذر المصري وأبو عبد الكريم المصري؛ وكلاهما شرعيان مع كونهما من المسؤولين في الجهاز الأمني للتنظيم، لكنهما مختلفيان^(١).

وأبو يحيى الجزائري، وهو من القيادات العسكرية مع كونه شرعياً، اعتقلته هيئة تحرير الشام منذ حزيران ٢٠٢٠^(٢).

وأبو محمد السوداني، شرعي مسؤول عن الدعوة في المعسكرات والدورات الداخلية في التنظيم، وقد استهدفه طيران بتاريخ ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول، وتوفي متأثراً بجراحه في ٢٧ من الشهر ذاته، وكان للسوداني مساعٍ تفاوضية في محاولة تخفيف الحملة القائمة ضد الحراس من قبل الهيئة، حيث خاطب الجولاني مرتين قبل اغتياله، عرض في واحدة منهما تكليف أبي قتادة الفلسطيني بالوساطة والتحكيم بين الطرفين^(٣). ومن المحليين أبو عمر منهج: من قرية جنوب إدلب، واعتقلته هيئة تحرير الشام ثم أطلقت سراحه مقابل ألا يعود لتنظيم حراس الدين.

وأبرز المواقف التي صدرت من شخصيات شرعية من حراس الدين تشابه مع ميول المقدسي ومفاهيمه، وهذا يقودنا - بشكل ما - إلى النظر للمقدسي باعتباره مرجعية معتبرة عند حراس الدين وإن لم يعلن عن ذلك؛ إذ إن المقدسي منظرٌ جهادي بارز، وقد كان له دور أساسيٌّ في تأمين الغطاء الشرعي والأيديولوجي

(١) ينظر: «تحرير الشام» تعتقل قيادياً في «حراس الدين» أشيع أنه قُتل بغارة للتحالف، العربي الجديد،

عبر الرابط الآتي: <https://bit.ly/3jVzbgU>

(٢) وصفه الشرعي العام للهيئة «عبد الرحيم عطون» بأنه المكتبة الشاملة، والشيخ العالم الجليل.

(٣) ينظر: أبو محمد السوداني.. خاطب الجولاني مرتين قبل أن تقتله طائرات التحالف، أورينت نيوز،

على الرابط الآتي: <https://bit.ly/2TQlaFz>

لتنظيم حراس الدين في الوقت الذي نشطت فيه مسألة الانفكاك عن القاعدة والدعوة لتأسيس تشكيل بديل، حيث نشط المقدسي بشكل مكثف على قنواته في تلغرام وموقعه الإلكتروني معلقًا على الأحداث وداعمًا للتنظيم من خلال كتابة المنشورات وإصدار الفتاوى والإجابة على الأسئلة التي ترده من عناصر التنظيم بخصوص أحكام المشاركة في المعارك، وإخلاء نقاط الرباط من عدمه، وحكم قيادة الهيئة وغيرها^(١)، دون أن يكون هناك اعتراض من قيادات التنظيم لاحقًا ضد آرائه وفتاويه ومواقفه، إضافة إلى وجود العريدي في اللجنة العلمية الشرعية في منبر التوحيد والجهاد الذي يشرف عليه المقدسي؛ مما يؤكد أن المقدسي يحظى بالثقة داخل تنظيم حراس الدين، ويضطلع بدور حيوي لم يضطلع به غيره من مشايخ الساحة الجهادية المستقلين خارج سورية.

ومن أبرز المرجعيات الشرعية المحلية لتنظيم حراس الدين: أبو عمر منهج، والشيخ بلال الصنعاني «بلال مهند الجعدان». أما في مرجعياتها العابرة، فمنهم: د. سامي العريدي الأردني، وخالد العاروري أبو القسام الأردني، وأبو خديجة الأردني، وأبو عبد الرحمن المكي، وإياد الطوباسي، وأبو جليبيب الأردني، وأبو أسامة الشوكاني، وأبو ذرّ المصري، وأبو عبد الكريم المصري، وأبو يحيى الجزائري، وأبو محمد السوداني، وأبو محمد المقدسي.

(١) ينظر على سبيل المثال: كبير شرعي «تحرير الشام» يرد على المقدسي والأخير يعلق، على موقع: عربي ٢١، <https://bit.ly/3zOVIXe>، وينظر: ملاحظات على تعقبات فضيلة الشيخ أبي عبد الله الشامي، أبو محمد المقدسي، على موقع منبر التوحيد والجهاد، عبر الرابط الآتي:

ومنه نجد:

- حضور المرجعيات العابرة للحدود في كل التشكيلات الجهادية ذات الصلة بالقاعدة، وأثر الشخصيات الرمزية في الجهاد العالمي في تلك التشكيلات ومواقفها الفكرية والقتالية وصياغة خطابها وبناء سردياتها.

- تفاوت التشكيلات الجهادية في اعتماد المرجعيات العابرة والمحلية؛ فمن توازن حتى غلبة للمرجعيات المحلية على المرجعيات العابرة عند جماعة نصره الإسلام والمسلمين في الساحل، إلى غلبة المرجعيات العابرة عند النصره «هيئة تحرير الشام» قبل خلع كبوس القاعدة، إلى طغيان شبه تام للمرجعيات العابرة على المحلية عند تنظيم حراس الدين.

- عدم التوافق في صفوف قيادة تنظيم القاعدة ذاته بخصوص تغليب الطابع القطري والمرجعيات المحلية، كما ذكر عن نائب الظواهري أبي الخير المصري؛ فهو وإن كان المستخلف الثاني في تنظيم القاعدة إلا أن أفكاره تميل للعمل القطري بعيداً عن توجهات الجماعات العامة، وهذا ما تفيد شهادة عبد الرحيم عطون الشرعي العام لهيئة تحرير الشام، إذ يذكر أن المصري حث جبهة النصره على فتح مكتب للتواصل مع تركيا، وحاول إقناع الفرع اليمني للقاعدة بترك العمل الخارجي، وأنه كان مرحباً شخصياً بفكرة فك الارتباط بين القاعدة والنصره قبل أن يرفضها القادة الآخرون^(١).

- من حيث الطابع العالمي للجهاد الذي ترفع رايته التشكيلات الجهادية تبدو

(١) ينظر رد عبد الرحيم عطون على كلمة الظواهري، يمكن تحميل الوثيقة من الرابط الآتي:

<https://bit.ly/3i1EpFD>

أهمية المرجعيات العابرة بوصفها صلة بالعالمية وارتفاعاً بالمستوى لدى تلك التشكيلات؛ حتى يحرص المحلي أن ينتسب لمكان بعيد يبدو معه أنه من غير أهل بلده، على نحو ما فعل بلال مهند الجعدان «بلال الصنعاني» بانتسابه إلى صنعاء الموطن البعيد لقبيلته «العكيدات».

- لعل من معايير الثبات في الميدان والانخراط في المجتمع المحلي نسبة المرجعيات المحلية في التشكيل؛ فلا يبعد أن تكون غلبة القادة والمرجعيات الأجنبية في حراس الدين مما سهّل ضرب التشكيل واصطياد قياداته الشرعية والميدانية.

- الحرص على تقديم المرجعيات المحلية يأتي ضمن خطوات التشكيلات الجهادية للاقتراب من الحاضنة، ضمن خطوات أخرى تتضح أكثر في المسألة التالية:

* مع الحاضنة الشعبية: تقارب واستقطاب:

في شمال مالي ومنطقة الساحل بدأ وجود الجماعات الجهادية خلال أيام «الجماعة الإسلامية المسلحة»^(١) و«الجماعة السلفية للدعوة والجهاد»^(٢)، قبل تحولها إلى تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي^(٣). حيث بنت الجماعات المسلحة علاقات وطيدة مع المجتمعات المحلية في منطقة الساحل على مدى فترة طويلة من عشر سنوات أو أكثر. حتى إن «غالي» زعيم الجماعة أعلن

(1) Armed Islamic Group of Algeria - Wikipedia

(2) Salafist Group for Preaching and Combat - Wikipedia

(3) (<https://2u.pw/y6JKZYN>)

ضمن إستراتيجية جماعته: «الحفاظ على العلاقات المتميزة مع المجتمعات المحلية الحاضنة الاجتماعية للتنظيم». وفي تشكيل قيادة جماعة نصره الإسلام والمسلمين من عدة أطراف قُرئت محاولة لنقل رسالة اندماج وتعددية ومساواة داخل المجتمعات الحاضنة، كما توضح أهمية التنوع العرقي عند القيادة التنفيذية للجماعة الجديدة؛ مما يعني توسيع قاعدة الحواضن الشعبية للتنظيم. ويُعدّ مختار بالمختار رائد الجهود لتوطيد العلاقات مع الحاضنة القبلية بعد أن أمضى ١٦ عاماً في الصحراء في شمال مالي وجنوب ليبيا، كما عزّز أيضاً هذه العلاقات زواج عدد لا يُستهان به من المقاتلين من بنات القبائل؛ فضلاً عن تمويل المشاريع التنموية المدرة للدخل وتبني الجماعات المسلحة للمظالم التاريخية الكثيرة التي يعاني منها ساكنة الصحراء والرحل عموماً في الساحل منذ الاستقلال، وهي مطالب المجموعات المحلية لمزيد من إشراكها ودمجها في الدورة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلدان.

وفي هذا السياق نقرأ بيان الاستنكار الذي أصدرته الجماعة تنفي فيه أي صلة أو مسؤولية لها عن المذبحة التي وقعت في بوركينا فاسو وراح ضحيتها ما يربو على ١٣٠ شخصاً، وفي نص البيان: «وتستنكر هذه الأعمال الشنيعة التي لم تمت بصلة إلى منهج المسلمين في الجهاد والقتال في سبيل الله... نسأل الله تعالى أن يرحم قتلى المسلمين ويعافي جرحاهم ويرزق أهلهم الصبر والسلوان»؛ وهذه لهجة تصالحية هادئة لا تكاد تُعرف عن الجماعات الجهادية العنيفة، لا تخرج عن تأليف الحاضنة واستقطابها لصالح الجماعة وتنفيرها من خصومها.

وفيما سبق من تصدير جبهة النصرة «هيئة تحرير الشام» المرجعيات الشرعية

المحلية في أبرز مؤسساتها الشرعية المرجعية ما لا يقل عن ذلك من محاولة التقرب للحاضنة؛ لاسيما وأن النصره حينما أعلنت فك الارتباط بالقاعدة والاندماج مع فصائل محلية أخرى سوقتها ضمن انخراطها في العمل الجهادي السوري، ونفي ارتهانها لأية جهة أو أجندة عابرة. وقد قابلت الحاضنة حينها هذه الخطوة بالترحيب؛ لولا أن النصره أمعنت بعد ذلك بالبغي والتغلب على الفصائل الثورية.

وفي السياق ذاته من التقرب للحاضنة الشعبية واستثارة العواطف ما كان من تنظيم حراس الدين؛ فقد أعلن بيانه الأول في ٢٧/٠٢/٢٠١٨ موقعاً باسم الفرع السوري الجديد لتنظيم القاعدة «تنظيم حراس الدين» بعنوان «أنقذوا فسطاط المسلمين»، داعياً إلى نصره الغوطة وشنّ العمليات العسكرية ضد قوات النظام السوري، إضافة إلى دعوة الفصائل المتحاربة في الشمال السوري - أي فصيل حركة نور الدين زنكي وحركة أحرار الشام المنضويتين في جبهة تحرير سورية مقابل هيئة تحرير الشام - إلى «وقف الاقتتال فيما بينها» والتفرغ لقتال النظام وتوحيد الجهود «ودفع الصائل»، كما عرّف التنظيم عبر حساب له - سابقاً على برنامج تلغرام - وصفحته على تويتر: بأنه «تنظيم إسلامي من رحم الثورة السورية المباركة، يسعى لنصره المظلومين وبسط العدل بين المسلمين»^(١)، مع عدم إشارة التنظيم إلى ارتباطه بتنظيم القاعدة؛ رغم أن قياداته في غالبيتهم ممن بايع القاعدة ولهم صلات قوية مع قيادتها، وإنما انشقوا بعد فك النصره ارتباطها بالقاعدة. وفي محاولة

(١) ينظر النص الكامل لبيان تشكيل تنظيم الحراس ضمن تقرير: حراس الدين، وجه جديد للقاعدة، في موقع على بصيرة، عبر الرابط الآتي: <https://bit.ly/39Od9Er>، وينظر حساب التنظيم على

تويتر عبر الرابط: <https://bit.ly/2xRjEc8>

أخرى للانخراط في المجتمع المحلي والعمل المجتمعي أنشأ التنظيم «مركز دعاة التوحيد الدعوي» الذي ترأسه الشرعي اليمني أبو أسامة الشوكاني، وضمّ عددًا من الفاعلين الشرعيين أبرزهم أبو هريرة المصري - نجل أبي ذر المصري - وأبو محمد السوداني وأبو عبد الرحمن المكي، وقد تركّزت معظم أنشطة المركز على الخيم الدعوية في مساجد بعض القرى إلى جانب خطب الجمعة، والمحاضرات الثقافية للشباب، ومنتديات الدعوة العامة، وجولات الدعوة، والدروس الثقافية، وزيارات نقاط الرباط والمستشفيات وتوزيع المطويات وكتابة الشعارات والتوجيهات الموقعة باسم التنظيم على الجدران البارزة في المناطق العامة. إلى جانب ذلك فقد افتتح المركز نحو ١٥ معهداً أو نقطة تعليمية في قرى ومدن إدلب، لتعليم مبادئ العربية والإنكليزية والدراسات الدينية للأطفال.

وفي هذا: تأكيد لاستشعار التشكيلات الجهادية أهمية الارتباط بالمجتمعات المحلية؛ حمايةً لمشروعها ولمنتسبيها، رغم حرصها على استمرار العالمية في فكرها وجهادها؛ وهذا ما أكّده الظواهري زعيم القاعدة في شرحه إستراتيجية التنظيم: «معركتنا طويلة، والجهاد بحاجة لقواعد آمنة»^(١).

مع وضوح أثر طول الخبرة وعمر كل تشكيل في رسوخ سياسة مثمرة مع الحاضنة الشعبية؛ فطول واستقرار تجربة جماعة نصره الإسلام والمسلمين في الساحل في مختلف دوائر تطورها لا يُقارن بحدثة تجربة تنظيم حراس الدين مثلاً، ولا باضطراب تجربة جبهة النصره التي أفسدت براغماتيتها واضطراب مسيرتها وبغيها على الآخرين بعض ما حاولته من التقرب مع الحاضنة.

(١) التنافس الجهادي: الدولة الإسلامية تتحدى تنظيم القاعدة: مركز بروكنجز الدوحة، ص ١٣.

* مع الدولة الإسلامية: صراع الإخوة الأعداء:

مع استحضار أن تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» خرج من رَحْم تنظيم القاعدة؛ فلا يخرج خلاف داعش مع التشكيلات الجهادية التابعة للقاعدة عن اختلاف أفراد البيت الواحد على قيادة «العائلة الجهادية» والتنازع على الميراث «الجهادي»، فتهدأ المشاكل مع طرف لتشتعل مع طرف آخر من «الأسرة» ذاتها؛ فهم الأخوة الأعداء، كما عبّر بعضهم^(١). على أن العلاقة بين داعش والتشكيلات الجهادية الأخرى لا يصحّ اختزالها بهذا العنوان الإعلامي فحسب، وهذا ما يظهر عند التدقيق فيما كان بين التشكيلات محل المقارنة وتنظيم داعش:

ففي الساحل تقاتل جماعة نصرة الإسلام والمسلمين مجموعة الدولة الإسلامية التي يقال إنها انتصرت عليها وأخرجتها من معاقلها في مالي وبوركينا فاسو، وحاصرتها في شريط حدودي ضيق بين شمالي النيجر ومالي؛ ويبدو أن الجماعة تحاول العودة إلى صدارة الأحداث من خلال إعادة ترتيب الصفوف وتحديد الأولويات لمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية الذي يسعى إلى الاستحواذ على مناطق نفوذ «خصمه» في الجهاد، والممتدة حتى جنوب الساحل والصحراء والقرن الأفريقي. وفي سياق حرص نصرة الإسلام والمسلمين على اكتساب الحاضنة الشعبية كما سبق فهم يحرصون على الشورى واستقطاب أهل الاختصاص والخبرات من كل الإثنيات، وعلى اعتبار آراء العلماء والفقهاء من أهل الحل والعقد؛ مع إعلانهم أن حرصهم

(١) وفق تعبير عبد الباري عطوان في كتابه: الدولة الإسلامية: الجذور التوحش المستقبل، دار الساقي،

هذا ينطلق من رفضهم زيغ تنظيم الدولة العائد بالأساس إلى عدم استشارة العلماء وتغليب رأي القادة العسكريين؛ ولذا تخضع القيادة السياسية للجماعة وجناحها العسكري للسلطة الشرعية خلافاً لما هو عند مجموعات داعش. وفي السياق ذاته يحاول تنظيم نصرة الإسلام والمسلمين تمييز نفسه عن الجماعات الجهادية الأخرى في المنطقة من خلال عدم إدراج مشاهد وحشية وسادية والتعذيب وقطع الرؤوس وغيرها، التي غالباً ما تظهر في فيديوهات داعش، ومن خلال ما مرّ من بيان استنكار مذبحه بوركينافاسو والبراءة من فاعليها وانحرافهم.

وجبهة النصرة «هيئة تحرير الشام» نستذكر أنها تأسست فرعاً لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق، قبل أن تنفصل عن التنظيم، الذي ردّ بضربات موجعة للنصرة استولى فيها على كثير من المناطق والموارد التي كانت مع النصرة. وهو ما أدى إلى خلخلة كبيرة في صفوف الجهاديين بين داعش والنصرة، ثم بين النصرة ومن رفضوا فك ارتباطها بالقاعدة، وكان للمرجعيات الشرعية أثر كبير في ذلك؛ فمظهر الويس بوصفه أحد المرجعيات الشرعية المهمة للنصرة نشر عام ٢٠١٤ بحثاً مطولاً من ٢٦٠ صفحة تحت عنوان «العلامات الفارقة في كشف دين المارقة»؛ هاجم فيه منهج وممارسات تنظيم داعش، وانتقدها نقداً لاذعاً، وأشار إلى أن تنظيم داعش قد «فاقت مظالمه كل الحدود، فقتلهم بالآلاف، ومشردهم بمئات الآلاف، فانتهكوا الحرمات واغتصبوا الأموال، تحت ما يسمى بـ«جباية الفيء وتوزيع العطايا»، ونهبت أموال الأمة واغتصبت خيراتها، وفرضوا الضرائب، وكفّروا الناس طمعاً بأموالهم وجردوا القرى والمناطق التي كانوا يسيطرون

عليها»، وأنهم «بالإضافة إلى انتهاكهم للحرمات فلم يقيموا الحدود على وجهها، وإنما غرّوا الناس ببعض العقوبات التي يطبقونها، والتي يسلم منها أتباعهم إلا من تمرد عليهم، فيتخلصوا منه بحجة إقامة الحدود». وأشار إلى مغالاة التنظيم في تطبيق قاعدة «من لم يكفر الكافر»، وأن أنصاره يعتبرونها أصلاً مطرداً مطلقاً دون التفصيل المعروف، فتنتقل عندهم سلسلة التكفير للمخالف دون هوادة، فهم يكفرون بلا مكفر ومن لا يستحق التكفير، ويستحلون قتل من لا يستحق القتل، وغير ذلك من المسائل التي أثارها البحث الذي حدّر من خطر الغلو والخوارج. كما أشار الويس إلى أن تنظيم داعش شابه «الخوارج الأوائل بالغلو في الإمامة، فقالوا بالدار والإمام والهجرة واعتبروا زعيمهم هو أمير المؤمنين الذي تجب بيعته على المسلمين»، منبهاً أن هذا يدين كل فرق الخوارج عبر التاريخ، كما أشار إلى أن الخوارج عبر التاريخ تميزوا «بالولع في سفك الدماء، وهذا ما تجلّى واضحاً في جماعة الدولة التي اشتهرت بعملياتها الانتحارية وطرقها الاستعراضية في القتل، وأفلامها الهوليدوية في الصلب والتمثيل، وقالوا بقتل المخالف لهم من باب قتل المصلحة»^(١).

على أن هذا الموقف المتشدد من الويس تجاه داعش لم يكن محل توافق داخل النصرة؛ فقد كان فيها تيار يرى عدم شرعية قتال داعش بالتحالف مع الجيش

(١) يمكن الرجوع إلى بعض المقالات التي تناولت الكتاب: خلاصة كتاب العلامات الفارقة في دين

المارقة، على الرابط: <https://justpaste.it/molakhas>

بالصور: وثيقة كتبها قيادات القاعدة لفضح اتباع داعش، موقع ٢٤ الخبر بين لحظة وضحاها،

على الرابط: [/https://24.ae/article/419658](https://24.ae/article/419658)

الحر، بل كان فرع القلمون من النصره بقيادة التلي يتحالف مع داعش بينما كان فرع الشرقية في دير الزور يخوض معه معارك ضارية.

ومع غياب أي تصريح أو ممارسة لتنظيم حراس الدين تجاه تنظيم داعش، رغم ما عُرف عنهم من التشدد؛ فلا يبعد أن يكون انشغال حراس الدين بملاحقة هيئة تحرير الشام واعتقالها قيادات التنظيم وبتضييقها عليهم، مع ما كان من تأثير مباشر وقوي لمرجعيات القاعدة جعل حراس الدين ضمن أعداء داعش، وجعل قياداتها ضمن أهدافها للاغتيال، كما ذكر في الحديث عن الشيخ بلال الصنعاني ومحاولات خلايا داعش اغتياله.

فالعلاقة بين تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» والتشكيلات التابعة للقاعدة لم تكن مستقرة على حال متوافق عليها بين مرجعياتهم الشرعية ولا بين أفراد تلك التشكيلات؛ بين من يقاتلهم ويرى أنهم خوارج يجب التحالف حتى مع الخصوم ضدهم، ومن يراهم «إخوة» لا يجوز قتالهم؛ لنعود إلى حيث تقدّم من كونهم أقرب ما يكونون إلى «الإخوة الأعداء».

* المجالس الشرعية: الحضور والتأثير:

تحرص الجماعات الإسلامية عموماً على تصدير قضية الشورى والتشاور بوصفها ركيزة من ركائز العمل الإسلامي والجهاد وبناء الدولة، كما تحرص على تصدير شرعيين بصفتهم ضباط عملها ومراقبي نشاطها الأمانة على سلامة نهجها وفكرها؛ على تفاوتٍ بينها في حقيقة التشاور والمسميات وفاعليتها، وبالنظر في التشكيلات الجهادية محل المقارنة نجد الآتي:

تتسم الهيكلية التنظيمية لجماعة نصره الإسلام والمسلمين في الساحل

بالشمول، وما يُعرف عنها يعكس بنية القاعدة في المغرب الإسلامي؛ حيث تتكون قيادة التنظيم من: أمير التنظيم، ومجلس شورى، ورؤساء كتائب. ومجلس الأعيان مسؤول عن التنظيم بكل هياكله وفروعه، وتقوم البنية التنظيمية على قيادة أمير ومجلس شورى وقادة ميدانيين. ويضم مجلس الشورى أصحاب الرأي السليم وأهل الاختصاص والخبرات من كل الإثنيات. ويساعد أمير التنظيم على تقديم النصيحة والمساعدة في اتخاذ القرارات الهامة، وتُعد الشورى مُلزِمة لأمير التنظيم، ولا يمتلك أحقية اتخاذ القرارات منفرداً بحكم إمارته دون رأي الفقهاء من جماعة الحل والعقد. ومع شح المعلومات عن هيكلية الجناح الشرعي للتنظيم فإنه مكون من القيادات التي كانت في الصحراء؛ ولا شك أن القيادة السياسية للتنظيم والجناح العسكري يخضعان لسلطته الشرعية. ومن أبرز مهام الشرعيين في التنظيم القضاء؛ ويعدّ التنظيم القضاء من ركائزه الأساسية، ويُعيّن قاضي الجماعة من قبل أمير التنظيم. وهو مستقل في مباشرة مهامه، ويعين قضاة الكتائب بالتعاون مع أمرائها، وتُعد أحكام القضاء قطعية ونافذة. وفي كل كتبية قاضٍ يفضّ النزاعات ويستعين به القائد في اتخاذ القرارات، ويؤمّ الصلاة ويُفتي المقاتلين في أمور دينهم، ويرافق قائد الكتبية في تنقلاته ويحضر بعض العمليات حسب قدراته البدنية. كما يتابع الجناح الشرعي للتنظيم - أو بالأصح: مجموع القضاة تحت لوائه وقواده - إصدارات المرجعيات الشرعية ويستأنس بها في قراراته^(١). كما أن القضاة الشرعيين اضطلعوا بدور في مسار التفاوض الذي لم ترفضه الجماعة؛ وإنما

(١) أوصلت منظمة إنسانية لقائد منطقة تومبكتو، سنة ٢٠١٩، فتوى حول وجوب حماية عمال الإغاثة، وأستقبلها بكل أريحية ووعد بالعمل بها وإبلاغها لقادة تنظيمه، مع الاعتراف أنه لا يعرف صاحبها شخصياً، لكن يتابع كل إصداراته ويحترم آراءه الفقهية

وضعت شرطاً واحداً للدخول في مفاوضات مع الحكومة وهو انسحاب فرنسا من الساحة^(١).

وفي جبهة النصرة مرّ أن عماد المرجعية الشرعية في مجلسين «المجلس الشرعي ومجلس الإفتاء»، لكن هذا ما انتهت إليه النصرة بعد أن أصبحت «هيئة تحرير الشام»؛ وبالنظر لما مرّت به منذ تأسيسها باندماج سرايا جهادية تحت اسم «جبهة النصرة» حتى فك ارتباطها بالقاعدة والتغلب على فصائل عديدة وإعلانها الاندماج مع فصائل أخرى باسم «هيئة تحرير الشام» فقد تباينت سلطة المرجعية الشرعية في هيكلية التشكيل خلال تحولاتها، ويمكن تقسيمها أربع مراحل:

فالمرحلة الأولى: هي مرحلة سطوة المرجعية الشرعية على القرار السياسي والعسكري في التنظيم، وهي الفترة الممتدة منذ تشكيل جبهة النصرة حتى الانشقاق عن تنظيم الدولة وما رافقها من سجلات شرعية ودور كبير للمرجعية الشرعية، وهنا كان الشرعي العام لتحرير الشام العراقي «أبو ماري القحطاني»، وكانت النصرة تعتمد في إدارتها على اللامركزية حيث يتمتع أمراء القواطع بصلاحيات واسعة.

المرحلة الثانية: مرحلة التوازن بين القيادتين الشرعية والعسكرية، والتي جاءت مع تعيين الأردني سامي العريدي شرعياً عاماً بضغط من المقدسي على قيادة النصرة، واتسمت بالتأسيس لمرحلة قتال الفصائل والالتصاق بفكر تنظيم القاعدة.

والمرحلة الثالثة: مرحلة سطوة القيادة العسكرية على الجهاز الشرعي بشكل شبه كامل، مع إقصاء/ انشقاق قيادات وشرعيي القاعدة عن التنظيم، وذلك في

(١) <https://2u.pw/dHxrhbd>

الفترة الممتدة من تشكيل جبهة فتح الشام إلى ما بعد تشكيل هيئة تحرير الشام، والاعتماد على شخصية سورية محلية هو عبد الرحيم عطون الذي ساعد الجولاني بقيادة تحولات مهمة جداً أهمها فك الارتباط بتنظيم القاعدة.

والمرحلة الرابعة : مع تشكيل تحرير الشام اعتمد التنظيم على مجلس عسكري بدلاً من الشرعي العام، وتحول دور المجلس الشرعي في هيئة تحرير الشام إلى دور ثانوي مقتصر على تبرير السياسات العامة التي ترسمها قيادة تحرير الشام ممثلة بالجولاني قائد التنظيم، ولتحويل المرجعية الشرعية فيها إلى «مرجعية صورية» مهمتها الرئيسة «شرعنة» ممارسات الجناح العسكري والتحركات السياسية التي تنتهجها تحرير الشام وتبريرها شرعياً، مع الإشارة هنا إلى تنامي الخلافات والصدامات الداخلية التي تبدي هشاشة المرجعية الشرعية لتحرير الشام وعجزها عن تحقيق تأثير حقيقي في سياسات التنظيم؛ فالشرعي العام عطون ضمن تبريره التحولات التي وصلت إليها النصره كان مما أدلى به لصحيفة «لو تيمبس» السويسرية أن هيئة تحرير الشام «لا تشكّل خطراً على الغرب»، وأن المنطقة التي تسيطر عليها تحرير الشام بحاجة للمساعدات الدولية. وأضاف عطون: «لست بصدد أن أقدم صورة أجمل أو أكثر سوداوية عن أنفسنا، نحن نظهر الواقع فحسب، الناس هنا ليسوا مثلما كان عليه الناس في الرقة في فترة خلافة تنظيم الدولة»، مشيراً إلى أن تحرير الشام هي «آخر من يقاتل نظام الأسد وحلفاءه؛ لكنها لن تتمكن من القضاء عليه دون مساعدة»^(١)، رغم أن عطون هذا نفسه الذي

(١) شرعي تحرير الشام لصحيفة سويسرية: لا تشكل خطراً ونحتاج لدعم دولي، تلفزيون سوريا، على

يُبدى هذه البراغماتية على صعيد العلاقات الخارجية قد لعب دوراً بارزاً في شرعنة قتال الفصائل الإسلامية وفصائل الجيش الحرّ، وفي قتال أحرار الشام وتفكيكهم، وهاجم المجلس الإسلامي السوري. ولا أثر يذكّر شرعي هيئة تحرير الشام ولا عطون الشرعي العام في مسار المفاوضات السياسية التي يجريها التنظيم؛ إذ إن أمر ذلك كله بيد الجولاني زعيم التنظيم، والشرعيون معه متأثرون به أكثر من كونهم مؤثرين به.

وأما تنظيم حراس الدين فإن مجلس الشورى (القيادة التشريعية) فيه يضم ١٥ عضواً، منهم أعضاء دائمون وأعضاء متبدلون؛ ومن الدائمين المسؤول الشرعي العام والمسؤول الدعوي العام والقاضي الأمني العام، وفي الأعضاء المتبدلين شرعيون كذلك ولهم مهام في الجهاز الأمني. على أن من أبرز الأدوار التي اضطلع بها شرعيو حراس الدين: إدارة المفاوضات مع مختلف الجهات، سواء مع الفصائل القريبة منهم أثناء تأسيس الفصيل أو في التحريض ضد هيئة تحرير الشام للانفصال عنها أو في رفض أفكارها وتوجهاتها، أو حتى في محاولة استمالتها تجاه نقطة ما أو موقف معين. فالتنظيم اعتمد في بنيته الإدارية على الشرعيين من ذوي الخبرات المزدوجة؛ إذ ينال عضوية مجلس الشورى ١٢ شخصاً يمكن وصفهم بأنهم شرعيون من أصل ١٥ عضواً، فإلى جانب أن شرعيّ التنظيم العام متخصص في الحديث فإن رئيس مجلس الشورى قائد عسكريّ لجيش الملاحم وشرعيّه في الوقت نفسه، أما قائده العسكريّ المغتال وأبو خديجة الأردني وأبو خلاد المهندس فقد كانوا - إلى جانب كونهم من مجلس الشورى - من الدائرة المقربة للزرقاوي وأبي محمد المقدسي، وكذلك تسنّم أبو أسامة الشوكاني إدارة شؤون

الدعوة والحسبة وهو شرعي يمَنِّي، أما القضاء العام فقد كان بيد كلِّ من الشيخ أبي عمرو التونسي ثم أبي ذر المصري، وهما شرعيان أيضًا، وكذا مسؤوله الأَمَنِّي العام. وبسبب الاستقطاب وتباين التيارات في صفوف حراس الدين فقد وقع تمرّد داخل التنظيم اصطدم فيه القضاء بالأمنيين وقيادة التنظيم حتى هدّد القاضي العام «التونسي» بعزل القيادة. ومما كان للشرعيين والقضاة أثر واضح فيه رفض حراس الدين عقد أي اتفاق مع أي دولة تنخرط في الملف السوري ورفض أي اتفاقات موقعة بين تلك الأطراف؛ ففور تشكيل التنظيم زار قياديو حراس الدين وشرعيّوه - أبو القسام الأردني والعريدي وأبو همام الشام والجزائري وأبو ذر المصري وأبو خلاد المهندس - أغلب الفصائل في الشمال داعين للتحالف معهم ضد الاتفاقات الدولية وضد الفصائل التي توافق عليها، من خلال تجميع الفصائل الجهادية في غرفة واحدة، وهذا ما حاوله التنظيم وعمل عليه من خلال غرفة «وحرّض المؤمنين» وغرفة «فائتوا»؛ لولا أن تحرّك هيئة تحرير الشام ضدهم أوقفهم. كما أن من أدوار الشرعيين في حراس الدين دورهم في إدارة الأزمات؛ سواء من خلال التفاوض مع الخصوم أو التحاكم عند القضاء، أو إرسال رسائل لهم أثناء انهيار المفاوضات والمباحثات البينية، مع تفضيلهم - في بعض الأحيان - الدعوة للتفويض في حل المسائل العالقة بين الأطراف المتنافرة إلى وساطة/ أحكام «مرجعيات مستقلة» مقربة منهم كأبي محمد المقدسي وأبي قتادة^(١) والدكتور هاني السباعي.

(١) ينظر مثلاً: دعوة الشرعي أبي محمد السوداني لقيادة الهيئة بالتحاكم إلى أبي قتادة الفلسطيني

المقرب منهم: <https://t.me/tapaiwr/2706>

فنجده:

- حضور مسميات «الشورى» و«المجلس الشرعي» و«القضاء» في كل التشكيلات الجهادية.

- اضطلاع الشرعيين بأدوار مختلفة من الفتوى والإمامة، إلى القضاء، والتفاوض وإدارة الأزمات؛ مع دخولهم الأجهزة الأمنية في تلك التشكيلات.
- التفاوت بين التشكيلات في استقلالية الشرعيين والقضاة عن القيادة العسكرية.

- اضطراب العلاقة بين الشرعيين والقيادات في بعض الأحيان، حتى يصل الأمر للصدام والتمرد والتهديد بعزل القيادة. في مقابل خضوع الشرعيين في أحيان أخرى واقتصار دورها على تبرير تحركات القيادة وشرعتها.

- كانت المرجعيات الشرعية المحلية أكثر خضوعاً لقيادة التشكيلات وأكثر مطاوعة لها في تجربة النصر «هيئة تحرير الشام»، بخلاف ما كانت عليه في الساحل عند نصره الإسلام والمسلمين؛ ولعل ذلك لانتظام العلاقة بقيادة القاعدة والتنوع في المرجعيات الشرعية وثقل وزنها أثر في قوتها وملء موقعها بقوة.

* خاتمة:

مع التوافق بين التشكيلات الجهادية المحسوبة على القاعدة في عدة جوانب، لاسيما في وحدة المرجعيات الشرعية والفكرية والخط الجهادي العالمي العام؛ فإن فيما بينها فوارق ليست قليلة في جوانب متعددة.

ولا تُقرأ الفوارق بين التشكيلات الجهادية على أنها علامة ضعف في جسد

تنظيم القاعدة وبنائه التنظيمي؛ فهذه نظرة من جانب واحدة؛ لكن اتجاه التنظيم إلى ترك مساحات واسعة للتشكيلات التابعة لهم للتقارب أكثر من مجتمعاتها المحلية بعد التضييق على قيادة القاعدة وانحسار مواردها المالية يزيد الأمر صعوبة في متابعة تلك التشكيلات والقضاء عليها، وفيما مرّ شواهد كثيرة عن مقتل قياديين كثر من القاعدة وفروعها حتى أن تُصاب بمقتل يُنهى أمر التنظيم وفروعه؛ وهو ما يؤكد أهمية العمل لتفكيك خطاب الغلو ومعالجته، وأهمية الحوار الفعّال مع هذه التشكيلات.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	١٨٣
إشكاليات الولادة: بين الانشقاق والاندماج والتغلب.....	١٨٤
المرجعيات الشرعية: المحلية.....	١٩٢
مع الحاضنة الشعبية: تقارب واستقطاب.....	٢٠٣
مع الدولة الإسلامية: صراع الإخوة الأعداء.....	٢٠٧
المجالس الشرعية: الحضور والتأثير.....	٢١٠
خاتمة.....	٢١٦
